وزارة التعليم
جامعة المرقب
كلية علوم الشرعية/ الخمس

المجلة العلمية لعلوم الشريعة

مجلة علمية دورية محكمة نصف سنوية

تصدر عن كلية علوم الشريعة الخمس
جامعة المرقب

رئيس التحرير:
د. عادل فرحات الشلبي

مدير التحرير:
د. محمد امحمد أبوراس

سكرتير التحرير:
م. طارق علي الحوات.

العدد الأول:
يناير 2018م

معاييرُ النَّشر في المجلة

- أن يكون البحث في المجالات التي تُعنى بها المجلة، وأصيلاً في أفكاره.
- ألا يكون البحثُ المُقَدم منشوراً من قبل، أو مقدماً للنشر في مجلة أخرى، أو مستلاً من رسالة علمية.
- أن يلتزم الباحث بأصول البحث العلمي وضوابطه المتعارف عليها، ومن ذلك أن يحتوي على تقديم وخاتمة وثبت للمصادر والمراجع.
- أن يقدم البحث مطبوعاً بخط (Simplified Arabic)، بدرجة (14) في المتن، وبدرجة (11) في الهوامش، على أن تكون المسافة بين السطور مفردة، وأن يكون ترقيم الهوامش آلياً تلقائياً متجدداً في أسفل الصفحة.
- تخضع البحوث المُقدَّمة للنشر بالمجلة للتحكيم العلمي من قبل متخصصين في سرية تامة، وتلتزم المجلة بتوصياتهم.
- البحوث التي ترد للمجلة تكون ملكاً لها بمجرد تسلُّمها، ولا تُرد إلى أصحابها نشرت أو لم تنشر.
- لهيئة التحرير في المجلة الحق في تنسيق البحوث المقبولة للنشر وترتيبها وفق سياسات المجلة دون إبداء الأسباب، ولا يعكس ذلك الترتيب قيمة البحوث أو مستوى أصحابها.
- البحث المنشور في المجلة يُعبر عن رأي صاحبه وقدراته العلمية واللغوية، وهو المسؤول عما نشر له من معلومات وبيانات ووجهات نظر.
- يجب ألا تزيد عدد صفحات البحث عن ثلاثين صفحة، على أن تتقدمه صفحة تحمل عنوان البحث واسم الباحث، ودرجته العلمية، ومكان عمله، وعنوانه ورقم هاتفه.
- يقدم البحث للمجلة من ثلاث نسخ ورقة، وأخري إلكترونية، مرفقا به تزكية لغوية من أهل الاختصاص تفيد بسلامته اللغوية، وفق أنموذج معدٍّ من هيئة التحرير بالمجلة.
- يمكن أن تقبل المجلة في مجال اهتمامها نشر نتائج الندوات والمؤتمرات العلمية التي تقام في الجامعة.
- ترحب هيئة التحرير بالمجلة بما يرد إليها من ملاحظات وأفكار، ونقد بناء من المتخصصين، وتَعِدُ بوضع كل ذلك موضع العناية والتقدير.

مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف (1863-1913)

د. يحيى مراد
جامعة الأمير سطام بن عبد العزيز.
المملكة العربية السعودية.

مقدمة:

الحمد لله وحد والصلاة والسلام على سيدنا محمد ﷺ خاتم الأنبياء والمرسلين، وبعد،

فإنه في ظل الحقبة الاستعمارية للعالم الإسلامي، وما حملته من تداعيات وإخفاقات في كيان المجتمع العربي الإسلامي على كافة الأصعدة، بدت في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين هجمة غربية واضحة على الإسلام؛ من حيث هو تمدن، أو هو مضاد له.

وفي إطار تجديد الفكر الإسلامي المعاصر يعالج هذا البحث مشكلة التمدن في تاريخ الفكر العربي الحديث ورد شبهة أن الإسلام ضد التمدن بوجه عام؛ ذلك أن المناخ الاستعماري الثقافي قد ولَّد صورة جدلية فكرية ما تزال تسيطر على واقعنا الفكري، هذه الصورة تجلت بوضوح في جدلية الإسلامي الغربي، أو الإسلامي المسيحي، ويمكن تلمس ذلك التوجه من خلال الحملات التي قام بها بعض المستشرقين، أمثال: رينان (ت: 1892م)، وكوزان (ت: 1908م)، وكرومر (ت: 1917م)، وهانوتو (ت: 1944م) حين طرحوا القول بأن النصرانية هي المولدة الحقيقية للتمدن، وأن الإسلام مضاد له، لا يتفق معه، فاندفع الفكر العربي والإسلامي الحديث

والمعاصر[1] في محاولات متعددة ومتنوعة في سبيل مواجهة هذه الحملات التي تستهدف كيان المجتمع الإسلامي وحضارته وثقافته، وشكل مفهوم المدنية والتمدن محوراً من أهم المحاور التي دار حولها السجال الفكري في هذه المرحلة، حتى وقتنا الحاضر ويمكن طرح إشكالية البحث على هيئة التساؤلات الآتية:

1- ما مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف، وهل الإنسان مدني بطبعه؟.
2- هل من الضروري التوازن بين المادة والروح في التمدن، وما دور الفرد في ذلك؟
3- هل المغلوب مولع بتقليد الغالب، وما أهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن؟
4- هل الأخذ بالأسباب ضروري لإحراز التقدم، وما أهمية مبدأ المساواة بين البشر؟

[1]- للمزيد من أمثلة ذلك ينظر: الإسلام روح المدنية: أو الإسلام وكرومر لمصطفى الغلاييني: وقد وضعه عام 1908/1326 وكرسه للرد على كرومر: ط3: المكتبة الأهلية: بيروت: 1930/1348، وكذلك كتاب الشيخ محمد عبده: الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: الذي رد فيه الشيخ على ما كتبه "فرح أنطون" صاحب مجلة "الجامعة" حول ما جرى لابن رشد من أحداث ردها فرح أنطون إلى "تعصب الإسلام على العلم": ينظر كتاب محمد عبده: ط: الهلال: 1960، ورده على هانوتو (المؤيد 29 ربيع الأول 1318هـ) وكذلك في كتابه (الإسلام والرد على منتقديه): القاهرة 1928/1346، وفي رد الأفغاني على "رينان" ينظر "الأعمال الكاملة": تحقيق ودراسة: د. محمد عمارة: القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: بدون تاريخ.

5- ما المقصود بالمدنية والحضارة، وما علاقة التمدن بالسعادة؟

وحيث إن أهداف الدراسة تبنى على أساس تساؤلات البحث فإن من أهداف هذه الدراسة تحقيق ما يأتي:

1- بيان مفهوم التمدن، ومعرفة مدى صحة أن الإنسان مدني بطبعه.

2- مدى ضرورة التوازن بين المادة والروح في التمدن، ودور الفرد في ذلك.

3- بيان مسألة أن المغلوب مولع بتقليد الغالب، وأهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن.

4- مدى ضرورة الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم، وأهمية مبدأ المساواة بين البشر في ذلك.

5- بيان المقصود بالمدنية والحضارة، ومدى علاقة التمدن بالسعادة.

أهمية البحث:

تكمن أهمية هذا البحث في معالجة إشكالية مهمة تتعلق بالتمدن عند المسلمين، وهل المسلم متخلف بطبعه، أم أنه مدني بالطبع؟ باعتباره إنسانا ينطبق عليه القول: الإنسان مدني بطبعه.

ثم مدى ضرورة التوازن بين المادة والروح في التمدن، ودور الفرد في ذلك، وقابلية الإنسان المغلوب بتقليد الغالب، وأهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن، وبيان أنه من الضروري الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم، وأهمية مبدأ المساواة بين البشر في ذلك، ومناقشة العلاقة بين التمدن والسعادة.

كل هذه قضايا تكسب الموضوع أهمية؛ باعتبارها قضايا معاصرة ومهمة، تتعلق بتجديد الفكر الإسلامي المعاصر، وبيان مسألة القبول بالتمدن من عدمه، في إطار إقناعي، بالنظر إلى ما وصلت إليه الأمم الأخرى من تمدن، في حين ما زال بعض المسلمين يصرون على ما هم من تأخر مادي مقارنة بتلك الأمم، تاركين لغيرهم الأخذ بأسباب التمدن، ومحجرين على أنفسهم ترك تلك الأسباب وكأن الإسلام يعادي التمدن متناسين أن الإسلام دين المدنية، وهو صالح لكل زمان ومكان.

أسباب اختيار الموضوع:

تم اختيار هذا الموضوع نظراً لما ابتليت به الأمة الإسلامية هذه الأيام من بعض متعالميها بالشد إلى الوراء، خوفا من التمدن والتحضر، مع أن هؤلاء الداعين إلى عدم الأخذ بالمدنية والتحضر هم أول من يستعملون ما تنتجه هذه الحضارة والتمدن؛ الأمر الذي يعني ضرورة بيان فوائد التمدن والأخذ بأسبابه من خلال:

1- بيان أهمية المدنية للبشرية جمعاء، وأن ذلك من فضل الله علينا.
2- بيان حاجة البشرية إلى المدنية كحاجتها إلى الطعام والشراب.
3- بيان أن الإسلام دين المدنية، وأنه صالح لكل زمان ومكان.
4- ضرورة أن يأخذ المسلمون بأسباب المدنية لحاجتهم إليها، وحتى لا يأتي يوم لا يستطيعون فيه استخدام مدنية غيرهم.

حدود البحث:

يقتصر هذا البحث على الحدود الزمانية، والمكانية، والبشرية الآتية:

1- الحدود الزمانية: تَنْصَبُّ هذه الدراسة على ظاهرة التمدن في زمن الشيخ علي يوسف على ضوء ما جاء في القرآن والسنة، وسيرة السلف الصالح، وتاريخ التمدن الإسلامي من خلال فكر الشيخ علي يوسف للاستفادة من ذلك في زمننا المعاصر.

2- الحدود المكانية: تتناول هذه الدراسة نماذج من التمدن الإسلامي في حياة الشيخ علي يوسف؛ للاستفادة منها فيما تمر به الأمة الإسلامية الآن.

3- الحدود البشرية: تتناول هذه الدراسة رأي الشيخ علي يوسف، وكذلك آراء بعض العلماء المعاصرين له حول قضية التمدن على ضوء ما كتبه الشيخ؛ للاستفادة من ذلك فيما تمر به الأمة الإسلامية من ابتلاءات ضد التمدن هذه الأيام.

منهج البحث:

تم استخدام المنهج الاستقرائي، في تتبع آراء الشيخ علي يوسف حول التمدن وبيان ذلك، بغية الكشف عنها، والاستفادة من تلك الآراء، كما استخدم منهج التحليلي، وهو البحث عن المعلومات الدقيقة الموجودة داخل فكر الشيخ، والتعبير عنها بوضوح وموضوعية وشمولية ودقة، وأخيرا استخدم المنهج البنائي في إعادة ترتيب الأفكار وكتابتها من جديد.

هيكلية البحث:

يتكون البحث بعد المقدمة من خمسة مباحث، وخاتمة.

فالمقدمة: تتضمن إشكالية البحث، وأهدافه، وأهميته، ومنهج الدراسة، وهيكلية البحث.

المبحث الأول- مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف ومدنية الإنسان بطبعه، ويتضمن مطلبين هما:

المطلب الأول- مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف.

المطلب الثاني- هل الإنسان مدني بالطبع؟.

المبحث الثاني- التوازن بين المادي والروح في مفهوم التمدن ودور الفرد في ذلك، ويتضمن مطلبين هما:

المطلب الأول- التوازن بين المادي والروحي في مفهوم التمدن.

المطلب الثاني- دور الفرد وإرادته وأثرهما على الأجيال اللاحقة.

المبحث الثالث- المغلوب مولع بتقليد الغالب، وأهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن، ويتضمن مطلبين هما:

المطلب الأول- المغلوب مولع بتقليد الغالب:

المطلب الثاني- أهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن

المبحث الرابع- ضرورة الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم، وتطبيق مبدأ المساواة بين البشر، ويتضمن مطلبين هما:

المطلب الأول- ضرورة الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم

المطلب الثاني: ضرورة تطبيق مبدأ المساواة بين البشر

المبحث الخامس- المدنية والحضارة، وعلاقة التمدن بالسعادة، ويتضمن مطلبين هما:

المطلب الأول- المدنية والحضارة

المطلب لثاني- علاقة التمدن بالسعادة.

الخاتمة- وتتضمن نتائج البحث والتوصيات.

المبحث الأول

مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف ومدنية الإنسان بطبعه

المطلب الأول: مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف

في البداية يرى الشيخ علي يوسف أن البعض "يذهب إلى أن التمدن يتبادله المحو والإثبات، أو العدم والوجود؛ فهو في هذا العالم يذهب به الدور وتسترجعه الأيام، وإنه كلما تم في أمة، انقلب بها إلى الوحشية الأولى، فهو نافع المبدأ مضر الغاية. ودليله ما كان لبعض الأمم قديماً من المكانة السامية في الحضارة، حتى إذا بلغت الغاية ارتدت راجعة إلى الخلق حتى تؤول إلى الخشونة والتوحش التام، ثم تتدرج ثانية إلى الإمام؛ فهما عنده على التعاقب كل علة للآخر، وكل غاية ضده [1].

والشيخ علي يوسف ربما يشير هنا إلى ابن خلدون (ت: 808هـ) من خلال مقدمته، حيث نظر ابن خلدون للدولة على أنها كائن حيٌّ يولد وينمو، ثم يهرم ليفنى؛ فللدولة عمر مثلها مثل الكائن الحي تماماً[2]. وقد رأى ابن خلدون أن التاريخ عبارة عن سلسلة من الدول تسير كل منها في حلقات متتابعة، وتتشابه هذه الدولة في مراحلها المختلفة، وفي أعمارها،

---

[1]- ينظر: مجلة الرياض المصرية: أول محرم 1306هـ: ص136: مقالة بعنوان "التمدن دهري" والإعداد مدرجة بقسم الدوريات بدار الكتب المصرية تحت رمز 285 دوريات.

[2]- مقدمة ابن خلدون: المطبعة البهية: الأزهر: ص119-120.

وتقوم الواحدة على أنقاض الأخرى وهكذا[1]... وفي هذا السياق يقول ابن خلدون: "اعلم أن هذه الأطوار طبيعية للدول"[2].

ويمكن القول بأن إشكالية ابن خلدون كانت حول التمدن والعمران ومنهجه في محاولة كشف أهم العوامل والأسس التي تتقدم من خلالها المجتمعات واستجلائها، وكذلك معرفة أسباب سقوطها وتدهورها، هذه الإشكالية بدت مسيطرة بوضوح على هذا الاتجاه الذي أشرنا إليه في إطار فكرنا الحديث والمعاصر، ويدرج في إطاره صاحب بحثنا هذا الشيخ علي يوسف. ذلك أن ابن خلدون بنى تصوره على تأملاته في طبيعة العمران من أن مراحل تطور الدولة تتعاقب على الأمم في أربعة أطوار هي:

1- البداوة.

2- التحضر.

3- الترف.

4- ثم التدهور الذي يؤدي إلى السقوط [3].

وهذا يعني أن التعليل عند ابن خلدون يتخذ صفة الضرورة، الأمر الذي جعل نظريته تتصف بالحتمية التاريخية، فإذا كانت الدولة في طور

---

[1]- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون: د. زينب خضيري: ص220: القاهرة: دار الثقافة: 1979م.

[2]- المقدمة: الطبعة السابقة: ص121.

[3]- ينظر في تفصيل ذلك الفصول الآتية من المقدمة: "فصل في انتقال الدولة من البداوة إلى الحضارة" و"فصل في أطوار الدولة واختلاف أحوالها وخلق أهلها باختلاف الأطوار" و"فصل في أن الحضارة غاية العمران ونهاية لعمره وأنها مؤذنة بفساده".

انحطاطها أو هرمها كان ذلك كالهرم في الإنسان أمراً طبيعياً لا يتبدل، وأنه حتى إذا تدارك بعض أهل الدول التدهور بالإصلاح فإن الأمر لن يزيد عن ومضة المصباح قبل انطفائه، توهم أنها اشتعال وهي انطفاء، "ولكل أجل كتاب" [1].

وإذا تأملنا نص الشيخ علي يوسف مقارنة بما قاله ابن خلدون، يبرز لنا بوضوح أن الأول يشخص ما قاله الثاني فيما يتعلق بالدورة التاريخية والحضارية للمجتمعات، ويتبين لنا مدى صحة ما يذهب إليه الشيخ علي يوسف في ذلك، ولكن هذا لا يعنى موافقته على نظرية ابن خلدون في التعاقب الدوري التي تفضي إلى السقوط والتدهور. والدليل على ذلك أن الشيخ علي يوسف يقرر: "أن المدنية دائمة مستمرة في الوجود، تابعة لوجود الإنسان مرتقية بارتقائه"[2]. وهو بذلك يقرر هنا حقيقة إسلامية تؤكد أن الإنسان هو محور الفعالية في الرد على التحديدات التي تواجه مصير حضارته وكيانه الاجتماعي ولذلك، فمع أن الإسلام يعترف بسقوط الدول والحضارات، عندما تتكاثف الأمراض الحضارية في شكل ظاهرة يطلق عليها القرآن الكريم: الاستبدال والاستخلاف، قال تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾[محمد: 38] ويقول تعالى: ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكُمْ خَلاَئِفَ فِي الأَرْضِ مِن بَعْدِهِم لِنَنظُرَ كَيْفَ تَعْمَلُونَ﴾[يونس: 14] ، إلا أن الإسلام لم يجعل ذلك قدراً أو حتمية لا يمكن أن تفلت منها أية

[1]- المقدمة: فصل بعنوان "في أن الهرم إذا ترك بالدولة لا يرتفع": الطبعة السابقة: ص47.

[2]- الرياض المصرية: مقالة: "التمدن دهرى": ص136: مصدر سابق.

جماعة أو أمة استطاعت أن تستعيد إرادتها وتصحح مسارها الفكري والنفسي في ضوء الوعي الحضاري بهاتين الآيتين المتقابلتين المتكاملتين إيجاباً وسلباً، قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾[الرعد:11] ، وقوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّرًا نِّعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمْ وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾[الأنفال: 53].

وبذلك تتغير وجهة النظر في سير التاريخ؛ إذ أن المراحل التي تتقبل أو لا تتقبل التغير حسب طبيعتها تصبح مراحل قابلة كلها للتغير؛ لأن الحتمية المرتبطة بها أصبحت اختياراً يتقرر في أعماق النفوس[1]. ثم يمضي بنا الشيخ علي يوسف بعد أن يقرر أن استمرار المدنية وحركتها وفعاليتها يتوقف على الإرادة الإنسانية التي هي السند الناجز والفاعل لهذه الاستمرارية، ثم يعرف لنا التمدن بقوله: "التمدن هو الكمال للمجتمع الإنساني، أو هو تمام نظام الهيئة الاجتماعية، وهذا الكمال أو النظام يوجد نسبياً في كل أمة أو شعب بعد حالة السذاجة الفطرية، فيصح أن يقال إن كل هيئة اجتماعية في الوجود متمدنة بالنسبة لما دونها، وغير متمدنة بالنسبة لما فوقها، والتفاضل منظور فيه إلى الارتقاء في المعارف والعلوم النظرية والعملية وتربية النفوس وتوطيدها على الأخلاق التي يعتدها العقلاء فاضلة، ويتبع ذلك اتساع نطاق الصنائع كلها من فلاحة وملاحة، وأنواع

[1]- حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد: ص10-11: دمشق: دار الثقافة للجميع: 1977م: ط3.

التجارة والتفنن في معدات الحضارة والاختراع للمنافع كآلات المواصلات والمراسلات والتسهيلات التي يقدمها كل عصر لآخر، وكل هذا يحتاج إلى دقة النظر، وإرسال الفكر، وزيادة البحث والتنقيب، حتى تصقل مرآة الذهن، وتصدق في القياسات والنتائج المستنبطة من المبادئ السابقة كما يكون محله مقدمة للاحقة يختار منه الأصلح فالأصلح، وهكذا كل سابق يبدع، وكل لاحق يحسن أو يقبح إلى أن يصل هذا النوع إلى النقطة التي فيها الانقلاب الوجودي، وفي النفوس غصة من عدم إيجاد ما يتخيله أنفع للحياة"[1] .

يقرر النص السابق للشيخ علي يوسف العديد من الأصول الإسلامية المتعلقة بشروط التمدن. وفي هذا السياق حاول العقل العربي الإسلامي بلورة صورة توحد في نهاية الأمر بين التمدن؛ باعتباره وسائل معرفية وفنية متقدمة، وبين القوة والغلبة، وهذه المعادلة تكافئ بدورها صورة التقابل بين الترقي أو التقدم، وبين الانحطاط والتدهور. وقد ظهرت هذه الجهود بوضوح لدى الطهطاوي (ت: 1290هـ/1873م) وخير الدين التونسي (ت: 1308هـ/1889م) ورفيق العظم (ت: 1343هـ/1925م) ومصطفى الغلاييني (ت: 1364هـ/1945م) وشكيب أرسلان (ت: 1366هـ/ 1946م) ومحمد فريد وجدي (ت: 1373هـ/1954م) وغيرهم.

[1]- الرياض المصرية: مصدر سابق: ص 137.

وقد ظهر هذا الاتجاه الفكري في كتابات الشيخ علي يوسف[1] صاحب صحيفة المؤيد الواسعة الانتشار، المعبرة في نهاية المطاف عن نزعة عربية إسلامية، وسمها بعض المهتمين بالمسألة بالمحافظة[2]. وذلك حين نشر في عام 1888م في مجلة الرياض المصرية مجموعة مقالات حول التمدن، وقد كان من عادة هذه المجلة التي أنشأها عبد الرحمن الحوت(ت: 1933م)، ومحمد حسن سلطاني (ت:1921م) أن تفسح مجالاً واسعاً في صفحاتها لمقالات التمدن والعمران المتأثرة صراحة بآراء ابن خلدون بصورة خاصة، وكانت تعرض في كثير من الأحيان نتائج المدنية الغربية.

المطلب الثاني- الإنسان مدني بالطبع:

يتحدث الشيخ علي يوسف عن فطرية الاجتماع الإنساني، وأن الإنسان في حاجة إلى أخيه الإنسان، وأن هذه الحاجة قد أقرتها الشرائع وبينها العلماء والحكماء، وبرهن على أهميتها تاريخ المدنيات والمجتمعات، فيقرر ذلك بقوله: "قالت الحكماء الإنسان مدني بالطبع؛ أي: لابد له من الاجتماع في مدينة، وفي قول آخر الإنسان ضعيف من أصل فطرته،

[1]- ولد ببلدة "بلصفورة" من أعمال مديرية جرجا بمصر ونشأ يتيماً، انتقل إلى القاهرة وتعلم في الأزهر. أنشأ مجلة أسبوعية سماها الآداب، وأصدر جريدة المؤيد، وكان لها شأن كبير في عالم السياسية في مصر والعالم الإسلامي. ت في 25 ذي القعدة 1331هـ/ 1913م بالقاهرة ومن آثاره: نسيم البحر "ديوان شعر"، أيام الخديوي عباس الثاني في دار السعادة، مقالات قصر الدوبارة، التعليم في مصر، بيان في خطة المؤيد تجاه الدولة العثمانية.

[2]- الإسلام والتجديد في مصر: تشارلز آدمز: ص216: ترجمة: عباس محمود: القاهرة: مطبعة الاعتماد: 1935م.

والقصد من كل ذلك بيان عجزه عن القيام بأقل حوائجه الضرورية؛ يعني إذا أراد القيام بأدنى ما يمكن فرضه وهو قوت يومه من الحنطة – كما قال العلامة ابن خلدون [1] فلابد والحالة هذه من اجتماع القدر الكثير من أبناء جنسه؛ ليحصل له، ولهم القوت، ومتى تم التعاون حصل من الحاجة قدر الكفاية وزيادة، وكل فرد من أفراد البشر نراه يظهر افتقاره واحتياجه لأبناء جنسه كل يوم، لابل كل ساعة ودقيقة"[2]. ولا أدل على ما قرره الشيخ علي يوسف من بيان أنه من الأسس التي واكبت الانتشار الحضاري للإسلام، أن الإسلام أثناء فتوحاته واحتكاكه بالعديد من المجتمعات والحضارات المختلفة التي خضعت للرقعة الإسلامية نراه –أي الإسلام– قد اقتلع من قلوب المسلمين والدعاة إليه، جذور الحقد الديني بالنسبة لأتباع الديانات الأخرى، وأقر بتعايش الأديان جنباً إلى جنب في روح من التسامح والمحبة، فقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴾[الحُجُرات:13].

وهذا يعني أن المفهوم الإسلامي للتحضر ينبع من مبدأين كلاهما يكمل الآخر:

---

[1]– وذلك في فصل بعنوان "في العمران البشري على الجملة وفيه مقدمات" حيث يقول: "في أن الاجتماع الإنساني ضروري ويعبر الحكماء عن هذا بقولهم الإنسان مدني بالطبع أي لابد له من الاجتماع الذي هو المدنية في اصطلاحهم وهو معنى العمران": المقدمة: ص30: جـ1: المطبعة البهية– مصر– بدون.

[2]– الرياض المصرية: ص57–58: مصدر سابق.

الأول: هو أن الحضارة حقيقة كاملة وشاملة؛ بمعنى أن المفهوم الحضاري ينطلق من الوجود الإنساني وهذا يعني أن كل خبرة لها مذاقها وتملك دلالتها، وهذا يفرض:

المبدأ الثاني: وهو الاستمرارية التاريخية. [1] ولسنا في حاجة إلى استعراض التطبيق العملي لهذه المرتكزات الإسلامية في النظرة إلى الآخر، وذلك خلال مسيرة التطبيق العملي للحضارة الإسلامية[2].

ثم يؤكد الشيخ علي يوسف أن حاجة الإنسان إلى غيره دليل على عجزه حيث يقول: "إن ضعف الطبيعة البشرية تقود المخلوق عند تمام المناسبات إلى الطغيان غالباً؛ فكثرة احتياجاته الملجئة إلى ذل الحاجة، ومهانة العجز تمنعه من طغيان الغني، وبغي المقدرة على أنه مهما تعاظم شأن الفرد؛ فهو لا يزال بافتقار إلى الجنس البشري، وهذا الأمر طبيعي لا يتم العمران بدونه، وهنا ملاحظة ثابتة"[3].

ومن خلال صياغة أخرى يؤكد الشيخ علي يوسف على أن حاجة الإنسان إلى غيره دليل على المساواة بين الناس: حيث يقول: "إن الإنسان وهو عاجز ومفتقر إلى نوعه لا يكون لديه تمييز وتفريق بين فرد وآخر

[1]- الإسلام والقوى الدولية: د. حامد ربيع: ص86-87: القاهرة: دار الموقف العربي: ط1: 1981.

[2]- للمزيد حول هذه النقطة: الدعوة إلى الإسلام لتوماس أرنولد: النهضة المصرية: ط2: 1957 وأثار الحرب في الفقه الإسلامي: د. وهبه الزحيلي: بيروت: دار الفكر: ط2: 1965 والعلاقات الدولية في الإسلام لمحمد أبو زهرة: القاهرة: الدار القومية: 1374هـ.

[3]- الرياض المصرية: مصدر سابق: ص58.

بوجه من الوجوه، بل يكون نظره مطلقاً لا يتقيد بجهة ويحصل لديه حينئذ التساوي، وهذا النظر طبيعي أيضاً؛ لأنه لو كان مع الاحتياج والافتقار للنوع أمر يبعث الفرد على التجزئة لاختل شأن العمران ولما حصل المطلوب"[1].

ثم يعدد أسباب ودواعي الاتحاد بين البشر فيقول: "إن العاقل إذا تأمل تأمل البصير رأى أن الفرد الواحد من وجود ماله الكثير وقدرته العظيمة لا يستغنى عما هو دونه من نوعه، وهذا من أكبر دواعي الاتحاد والائتلاف ومن أعظم أسباب العمران، وإذا تساوى جميع الناس لم يجد أحدهم إلى الاستعانة بغيره سبيلاً، وإذا تباينوا واختلفوا صاروا مؤتلفين بالحاجة؛ لأن صاحب الحاجة وصول والمحتاج إليه موصول"[2]. فالاختلاف بين الناس آية من آيات الله تعالى كسنة تاريخية واجتماعية يستحيل في غيابها وجود المدنية، يقول تعالى: ﴿ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾[الروم:22] ومن آياته سبحانه الدالة على ذلك أن غياب التدافع بين الناس هو المهلك للتمدن وللاجتماع الإنساني؛ فمن خلاله يستبين الحق وتتحدد المسئوليات، ومن ثم يحرص الناس على إقامة موازين القسط والعدل والمساواة، يقول تعالى: ﴿وَلَوْلاَ دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ الأَرْضُ﴾[البقرة: 251].

[1]- المصدر السابق: ص58.

[2]- الرياض المصرية: ص59: مصدر سابق.

المبحث الثاني

التوازن بين المادي والروحي في مفهوم التمدن ودور الفرد في ذلك

المطلب الأول- التوازن بين المادي والروحي في مفهوم التمدن

لم يقف الشيخ علي يوسف عند المفهوم المادي للتمدن، بل نظر إلى حركة المجتمع من خلال الإنجازات الفنية والتقنية -بلغة زماننا- وأضاف إليها واشترط لها الفضائل والقيم الأخلاقية التي بدونها يستحيل البناء الاجتماعي والحضاري ، بل يؤتى عليه من القواعد؛ لأنه لا وجود لكيان متماسك إلا من خلال صيغة متوازنة بين البعد الروحي والأخلاقي، وبين الانجازات المادية التي تمثل -وفق الخطاب الإسلامي- ضرورة شرعية، مع كونها ضرورة حياتية ومعاشية، ثم يقرر الشيخ علي يوسف أن التمدن هو الصورة المثلى للمجتمع في حال رقيه، في مقابل صورة المجتمع في حال سذاجته وتخلفه عن التطور، ثم يبين نسبية هذا التمدن من مجتمع إلى آخر، ثم يضع مقياساً للتفاضل بين المدنيات يعزوه إلى الارتقاء في المعارف والعلوم النظرية والعملية وتربية النفوس وتوطيدها على الأخلاق التي يعتدها العقلاء فاضلة، وبهذا يؤكد الشيخ علي يوسف على حقيقة إسلامية واضحة تبين أن الإبداع المادي وحده، لا يعبر عن حضارة متوازنة؛ فالإسلام يجعل حركة التقدم المادي، وفق منهج الإسلام وقيمه، قال تعالى: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاء وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ﴾[الأعراف:96]، وهذا يعني أن المدنية الحقيقية تعني الجانبين الروحي والمادي؛ فتجعلهما تتصلان ولا

تنفصلان، وهو ما بينه النص السابق للشيخ علي يوسف، ذلك أن النص يشير أيضا إلى أهمية الوسائل والأدوات التي ينبغي للإنسان أن يعتمدها لتحقيق التقدم، عندما تحدث عن دقة النظر، وإرساء الفكر وإرساله، وزيادة البحث والتنقيب، وبهذا فنحن في حاجة إلى التذكير بقوله تعالى: ﴿وَلاَ تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْؤُولاً﴾[الإسراء: 36] فقد تكررت في القرآن هذه العبارات ومثيلاتها لتوقظ الفكر من غفلته؛ فهي تدعو الإنسان إلى النظر والتأمل والتدبر والتثبت لما تحمله هذه التوجيهات من دقة النظر وإرسال الفكر، وزيادة البحث والتنقيب حتى تصقل مرآة الذهن وتصدق في القياسات والنتائج، وذلك بحسب عبارات الشيخ علي يوسف التي تشير إلى قول الله تعالى: ﴿أَفَلَا تَعْقِلُونَ﴾[القصص: 60] وقوله: ﴿أَفَلاَ تَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأنعام: 50] وقوله: ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ﴾[الغاشية: 17] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَنظُرُواْ﴾[الأعراف: 185] وقوله: ﴿أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا ﴾[الروم: 8] وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾[البقرة: 164] وقوله: ﴿لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[الرعد: 3] وهذه كلها إشارات على طريق استخدام الوسائل الفعالة لتحقيق المدنية والتقدم.

المطلب الثاني- دور الفرد وإرادته وأثرهما على الأجيال اللاحقة

يبين لنا الشيخ علي يوسف أن ما تبذله الأجيال الحاضرة من عطاء وإنجاز يترك آثاره على مسيرة الأجيال اللاحقة، فيقول: "إن كل فرد في الوجود مطالب من قبل ذاته وغيره إلى السعي وراء تلك المنافع التي تعتبر متممة لنظام الأمم، وباعثة إلى الراحة والأمن والرفاهية والثروة؛ فهو

طالب مطلوب في كل الأحوال إن خلص من معاصريه، طالبته تلك الأرواح في أصلاب الرجال وأرحام النساء ممن يأتي بعده بالجد والاجتهاد في أن يهيئ لهم في التاريخ ما يتخذونه أساساً لأعمالهم ويجنون من ثمار فوائده ما يقدرون به على بلوغ غاية أرقى مما بلغ كيلا يظلم أحد في الوجود شريكه وكما ينصف من نفسه لنفسه ولغيره بين قومه وشعبه، فليكن كذلك مع من يخلفه حتى يكون نعم السلف قام بما وجب عليه للخلف، وأدى فريضة الحياة الوجودية" [1].

ويمكن القول بأن الشيخ علي يوسف يؤكد -في هذه الفقرة- على مسألة جد مهمة تندرج ضمن منهجيته في فهم دور الفرد في صياغة التمدن، وهي أن سلبية الإنسان تجاه الفعل التاريخي أمر يمتد أثره إلى الأجيال اللاحقة، وكأن المسؤولية تجاه التقدم أمر يمتد أثره إلى الأجيال اللاحقة؛ فهي جهاد متواصل وفعالية متقدة تتسلمها الأجيال تباعاً وتسلمها إلى من بعدها، وهكذا يتواصل الإنجاز في التاريخ، وتنمحي الفواصل الزمنية، ويصبح الكيان الحضاري كلاً لا يتجزأ، على المستويين الفكري والتاريخي.

ثم يشير الشيخ علي يوسف إلى تدرج الشرائع بالاستعداد والترقي فيقول: "وعلى هذه المبادئ كانت الشرائع الإلهية والوضعية مرتقية شيئاً فشيئاً؛ بحسب الاستعدادات في الأمم"[2]. مؤكدا على أن فساد الأخلاق

[1]-الرياض المصرية: مصدر سابق: ص137-138.

[2]- المصدر السابق: ص138.

يؤدي إلى تدهور المدنية، بعد أن يصرح بأن التمدن ليس داعياً إلى التوحش بنفسه، بل هناك دواع أخرى أوجبت ذلك "كفساد الأخلاق والالتفات إلى الملاذِّ الشهوية، واتباع الإنسان هوى النفس فيما تطالبه به من السكر والعربدة والفجور والذهاب إلى محلات الفسق والميسر والملاعب والملاهي، وهذه منتجة لخمود الفكر، وظلمة العقل، وفظاظة الطبع، وخشونة المعاملات، وهكذا الحكم في كل أمة إن أهملت وظلمت نفسها وفرطت في حكمتها" [1].

ففسق الأفراد والشعوب مآله التدمير، كسنة من سنن الله في قيام المدنيات واضمحلالها، قال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا ﴾[الإسراء: 16]. والله تعالى ما ذكر أمة أصيبت بالدمار والهلاك، إلا وقد ذكر بجانب ذلك جريمتها وفسادها في الأرض وانحرافها وفسوقها عن أمر ربها، حتى يعلم الناس أن ما يصيبهم من حسنات وسيئات، أو فرح أو سعادة وشقاء، فبما كسبت أيديهم، قال تعالى: ﴿ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾[الروم: 41] [2].

ثم يدلل الشيخ علي يوسف على نسبية أمد البقاء من حيث الزمان؛ لأن ذلك –في رأيه– يتوقف على مدى الالتزام الأخلاقي لهذا المجتمع أو

---

[1]– نفسه: ص139.

[2]– ينظر في ذلك: سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: د. محمد هيشور: صص225: القاهرة: من منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ط1: 1996.

ذاك، حتى يتمكن من الاستمرار والبقاء؛ أي: أن بزوغ التمدن أو تحلله يتحدد بالإرادة الإنسانية التي هي محور التغيير، ومناط التفعيل نحو التقدم؛ إذ يقول: "إننا نجد أمة لا تتجاوز قرناً واحداً في الحضارة وأخرى تعيش قروناً كثيرة، فلا تبيد نفسها إلا بطوارئ أخرى خارجة عن سور التمدن، فلو فرضنا أن أفراد أمة في العالم حافظت على تلك المبادئ جيلاً فجيلاً، وهكذا كل خلف منهم يلبس ثوب السلف لانقضت الدهور وبادت الآلاف من الأعوام، وهي تترقى شأناً، وتعلو مكانة إلى ما لا يتصور أن يصل حده الفكر"[1].

وفي لفتة تجديدية من فكر الشيخ علي يوسف يتحدث الشيخ عن أهمية علاقة السلطة السياسية بالأفراد وضرورة إقامة علاقات متوازنة ومستقرة بينهما؛ لأن ذلك سيترك نتائجه الإيجابية على مسيرة التمدن واستقراره فيقول: "لا يكون التمدن إلا إذا كانت الهيئة الحاكمة مرتقية دون الأفراد فلابد من سيرهما معاً في الخطة التي تلائم أواسط القوم وتأخذ بالأدنين إلى مباراتهم، وإلا كان الأمر داعياً إلى الانحطاط، أو عدم الفائدة الوجودية، فلابد من تقارب الفريقين واتجاه قوة الهيئة الحاكمة إلى انتخاب الأصلح فالأصلح للهيئة"[2].

وواضح هنا أن الشيخ علي يوسف يشير إلى مبدأ عرف في الفكر السياسي المعاصر بمبدأ اختيار أهل الخبرة وليس أهل الثقة، وهي من

[1]- الرياض المصرية: ص140.

[2]- المصدر السابق: ص140.

المشكلات التي تعاني منها المجتمعات المعاصرة، وعدم العمل يؤدى إلى الفساد السياسي، ومن ثم إلى الانحطاط، ولسنا في حاجة إلى العودة إلى قواعد الفقه السياسي للدولة الإسلامية، لإبراز الأهمية التي يوليها الإسلام لهذا المبدأ من خلال توجيهات الكتاب والسنة، ووصايا الخلفاء، وتفصيلات ذلك في كتب الإمامة والسياسة في الفقه الإسلامي وأبوابها.

المبحث الثالث

المغلوب مولع بتقليد الغالب، وأهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن

المطلب الأول- المغلوب مولع بتقليد الغالب:

من القضايا التي ظهر تأثيرها بجلاء على الشيخ علي يوسف، وما زلنا نعاني في مجتمعاتنا العربية والإسلامية من تداعياتها وآثارها قضية الإحساس بالهزيمة الحضارية أمام الآخر، التي عبر عنها ابن خلدون في مقدمته بـــ: "المغلوب مولع بتقليد الغالب"[1]. وقد برز تأثير هذه القضية على الشيخ علي يوسف حيث يقول في هذا الصدد: "من أعظم الأمور ضرراً في المدنية تقليد الضعيف القوي في سيره بما يعد خروجاً عن الحد، وهو ليس من الحاجيات، على أن الضعيف بوجوده في المكان الكثير العمران يحتاج للوصول إلى ضروريات معاشه إلى عناء زائد بالنسبة للغلاء الملازم للمكان المعمور دائماً[2].

---

[1]- المقدمة: الفصل الثالث والعشرون: ص104: مرجع سابق.

[2]- الرياض المصرية: ص115: مصدر سابق.

فالواجب الإنساني مفتقد في المدنية؛ بسبب سيطرة الغفلة والهوى – وهو ما يؤكده الشيخ علي يوسف– بقوله: "إن من ألزم الأمور إلى الإنسان أن يقدر نفسه قدرها، ويسير بعدئذ بما هو أهل له.

ثانياً: أن بحسب العواقب وما هو خاف عنه في عالم الغيب، فلا يمشي في الأرض مرحاً، ولا يطيع هواه ويجعل عقله خادماً لشهواته فقد قيل إن من أطاع هواه أعطى عدوه مناه، والعقل صديق مقطوع، والهوى عدو متبوع وليعلم ما قيل في هذا الشأن:

إذا أنت لم تعص الهوى قادك الهوى ... إلى كل ما فيه عليك مقال

وثالثاً: أن يجد ويجتهد، ولا يدع السعي؛ لأنه مأمور به.

ورابعاً: يجب أن يتخذ من طرق المعيشة أحلها؛ لأن خير الأموال ما أخذ بالحلال.

وخامساً: أن يتخذ له قرناء خير وقد قيل:

عن المرء لا تسأل وسل عن قرينه ... فكل قرين بالمقارن يقتدي[1].

ثم يختتم نصائحه الأخلاقية لاتباع التقليد والهوى فيقول: "هذا ما رأيناه أثبتناه، ولم نقصد فيه إلا تذكرة من انغمسوا في الترف، وذهبوا ضيعة في سبيل التقليد. هدانا الله وإياهم سبيل الخير، إنه على كل شيء قدير"[2].

ولأن تقدم المجتمع في مسيرته نحو التمدن يتوقف على دور الفرد ومسؤولية الإنسان يتخذ الشيخ علي يوسف من قوله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ

[1]– المصدر السابق: ص116-117.

[2]– نفسه: ص118.

لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[النجم: 39] مدخلاً للحديث عن دور الفرد في سعادة الأمة فيرى بأنه: لا ريب في أن سعادة الأمة تتوقف على هم أفرادها، وعلى ما تحرزه من المعارف التي هي الأس الأعظم لكل عمل، فإن كان أفراد الأمة أقوياء العزيمة لا تلين قناتهم لغامز، ولا يسطو عليهم جهول كان مستقبلها حسنا، ولها مكانة مرموقة بين الهيئة الاجتماعية، ويتمثل بقول القائل:

على قدر أهل العزم تأتي العزائـم ... وتأتي على قدر الكرام المكارم

عالمين أن من يحتقر ذاته ويقنع بما يقوم بمن نفسه الخاملة من الأوهام بأنه لم يكن أهلاً لاكتساب ما اكتسبه غيره، وأدرك به بغيته هو بمثابة جرثومة داء بيد أمته لا بل خفاؤه خير من ظهوره[1].

المطلب الثاني- أهمية التسلح بالقوة لحماية التمدن

يتحدث الشيخ علي يوسف عن أهمية التسلح بالقوة الحربية وتطويرها من أجل حماية المدنية، وهو بهذا يؤكد أحد المطالب الشرعية التي استهانت بها مجتمعاتنا العربية والإسلامية، فكانت الغلبة لأعدائنا؛ لأننا -وبسبب هامشية الوعي بالمفاهيم الإسلامية- تعاملنا مع وسائل القوة على أنها من الترف، أو النوافل التي ليست من صميم الدين، ولا من قواعده، مع أن الله تعالى يقول: ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ﴾[الأنفال: 60] ، وفي ذلك يقول الشيخ علي يوسف: "وليس ما تتخذه الحكومات الآن

[1]- الرياض المصرية: ص279-280: وقد عرضنا فيما سبق لدور الإنسان من خلال أخلاقيات التغيير الذاتي في دفع حركة مجتمعه وحضارته إلى الإنجاز.

من المغالاة في اختراع الآلات الحربية، كالمدافع والأسلحة النارية، وإعداد القوى العظيمة الهائلة، وتجنيد الجنود من باب التوحش ومضادة الإنسانية لما يتخيله البعض أنه من موجبات الدمار وسفك الدماء وإزهاق الروح وتكديرها من الراحة، بل هو من تمام المدنية، ومن موجبات النظام لما فيه من عامل الهدوء ونشر لواء الأمن في المسكونة، ولولا ذلك لهالت الأمم الدنيئة، وأغارت على أرباب المدنية، وفشا النهب والسلب، وكثر السطو، وسلب الأمن العام من العالم أجمع"[1]. ذلك أن من نعم الله على الإنسان أن وهبه المدنية بكل مقتضياتها وعلى الإنسان أن يتخذ من الوسائل المشروعة ما يدافع به عن المكتسبات والإنجازات التي يحققها في مضمار التمدن: "إن الإنسان نتيجة الموجودات، وسر العوالم بعث الله له الرسل، وأنزل عليه الكتب السماوية، لا لعبث، بل ليتم له نطاق الأكمل -وجل شأنه- أن يضيع سر الوجود سدى؛ فهو واهبه المدنية نعمة، فلا يسلبه إياها، وإلا ظلم الموجودات، قال تعالى: ﴿ وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ﴾[فصلت: 46][2] وقال تعالى: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ بِالْقِسْطِ وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ وَرُسُلَهُ بِالْغَيْبِ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾[الحديد: 25]

[1]- الرياض المصرية: ص140-141: مصدر سابق.

[2]- المصدر السابق: ص141 والآية كاملة: ﴿ {مَنْ عَمِلَ صَالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ أَسَاء فَعَلَيْهَا وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[فُصِّلَت: 46]

وبهذا يلاحظ هذا التداخل العميق، والارتباط الوثيق في آية الحديد، بين إرسال الرسل، وإنزال الكتاب معهم، وإقامة الموازين الدقيقة لنشر العدل بين الناس، وبين إنزال الحديد الذي يحمل في طياته البأس، ثم التأكيد على أن هذا كله إنما يجيء لكي يعلم الله من ينصره ورسله بالغيب، وهكذا فإن الإيمان الذي يقوم عليه بنيان الدين، وهو الغاية من إرسال الرسل يجيء دائماً بمثابة معامل حضاري، يمتد أفقياً؛ لكي يصب إرادة الجماعة المؤمنة على معطيات الزمن والتراب، ويوجهها في مسالكها الصحيحة، ويجعلها تنسجم في علاقتها وارتباطاتها مع حركة الكون والطبيعة ونواميسها فيزيدها عطاء وقوة وإيجابية وتناسقاً [1].

وبعد هذا البيان الذي يبرز فيه الشيخ علي يوسف الغاية من إرسال الرسل، وقد حددها بإرساء قواعد التمدن الحقة من تعاليم وتوجيهات الوحي المنزل، وضرورة حماية هذه النعمة وتلك المكتسبات عن طريق الأخذ بالوسائل والأسباب التي تضمن وصول المدنية إلى المستوى اللائق بالإنسان، وفي سبيل التأكيد على البحث عن أهم الكيفيات التي تواجه بها المدنية كافة التحديات والمشكلات التي تعن لها، يتحدث الشيخ هنا عن أهمية النظر الدائم في الجوانب التشريعية والقانونية التي تمكن المجتمع من حماية مكتسباته الحضارية وإسهاماته المدنية فيقول: "إن الحوادث ليست متغلبة دائماً على الإنسان حتى يسرى حكمها على المدنية، بل متى وجد

[1]- التفسير الإسلامي للتاريخ: د.عماد الدين خليل:ص223-224:ط2:بيروت: دار العلم للملايين:1978.

التمدن فالإنسان يتغلب عليها به فتقل أو تنعدم، والدليل على ذلك أن الأمم التي ترقت فيها الشرائع والقوانين ليست كغيرها من الأمم المتوحشة، فإن الحوادث في الأولى أقل منها في الثانية، وهكذا كلما تدرجت علواً تغلبت عليها أكثر..."[1].

وأخيرا يؤكد على ما قرره من قبل عن أهمية تحصيل العلوم والمعارف في حماية المدنية فيقول: "... وكذلك العلوم والمعارف تمحو من الحوادث في الوجود بقدر ما تأخذ فيه عملاً وأحكاماً، فليس للحوادث حكم على المدنية بل هي لها الحكم عليها بلا ريب"[2].

المبحث الرابع

ضرورة الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم، وتطبيق مبدأ المساواة بين البشر

المطلب الأول- ضرورة الأخذ بالأسباب لإحراز التقدم

يرى الشيخ علي يوسف أن تقدم المجتمعات والمدنيات مرهون بضرورة الأخذ بالأسباب والمعوقات التي تمكن الإنسان من إحراز الفعل الناجز والفاعل فيقول: "فإن طريق النجاح معروف لا يحتاج إلى تنجيم، والسعادة تتم بأسبابها، والإنسان مأمور بالسعي، كما قال الله تعالى: ﴿وَأَن لَّيْسَ لِلإِنسَانِ إِلاَّ مَا سَعَى﴾[النجم: 39].

إنما إذا اعتقد الإنسان بأن النجاح قد تيسر لغير الأمم بالتقاعد وجاءت لهم أسبابه من غير جد، بل تدلى لهم من خالق، فهذا ما له بالفلاح

[1]- الرياض المصرية: ص141-142: مصدر سابق.

[2]- المصدر السابق ص141-142.

نصيب، ومن تأمل باضمحلال أمة من الأمم، وجد أن الفاعل الأعظم فيه استبعادهم لحاق الأمة الغالبة، وتقاعسهم عن الأخذ بالأسباب التي نجحت بها تلك الأمة" [1]. ذلك أن الأخذ بالأسباب كما يقول الله تعالى: ﴿وَآتَيْنَاهُ مِن كُلِّ شَيْءٍ سَبَباً فَاتَّبَعَ سَبَباً﴾[الكهف: 84-85] يعد من أهم عوامل النهوض في مقابل صور السلبية والتراخي، حيث تنعدم الإرادة الحضارية، وبالتالي تصاب حركة المجتمع بالنكوص والإدبار، ومن ثم التدهور والإخفاق، وهذه المسألة تعتبر من أكثر المحاور التي ترينا الدور المهم الذي تلعبه الإرادة الإنسانية في تاريخ المدنيات لكل مجتمع يسعى أن يكون له دوره الفاعل والمتواصل في التاريخ، ولعل الدور الذي قام به الفرد المسلم في تاريخ إيجاد حضارتنا؛ حيث كان ينطلق صوب تحقيق الفعل الحضاري، وهو موصول بقيم ومرتكزات تفرض عليه القول إن صناعة التحضر والتمدن وظيفة تعبدية، وفريضة على العقل المسلم على مدار التاريخ.

خلاصة القول: يدعونا الشيخ علي يوسف إلى تأمل دروس التاريخ، والأخذ بالسنن والقوانين التي تبرز العظة والعبرة للإنسان الحديث، ذلك أن النظر إلى الأمم السابقة والتعرف على أحوالها وسيرها يأتي في الخطاب القرآني كمعادل حيوي وفعال لكل مجتمع يحاول أن يتجنب الانزواء التاريخي والحضاري، كما حدث لكافة المجتمعات التي تنكبت عن سنن التاريخ والحضارات، يقول تعالى: ﴿وَجَاءكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى

[1]- المصدر السابق: ص281.

لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [هود: 120] وقال تعالى: ﴿ لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُوْلِي الأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيثًا يُفْتَرَى وَلَكِن تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَفْصِيلَ كُلَّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴾[يوسف: 111].

وفي هذا الصدد يقول الشيخ علي يوسف: "يا ليت الذين يعانون من الأتعاب والمهانة في سبيل التبذير والإسراف، وما هو فوق ذلك إلى تصفح ما خلا من الأمم، علهم يتعظون، أو فينتبهون، أو أنهم ينتبهون دقيقة في كل شهر إلى ما ستؤول إليه حالتهم من التعاسة، ولكن أين من يعقل وأسباب السقوط تتوالى بازدياد يوماً فيوما، فلله الأمر والخلق إليه مرجعنا وإليه أنيب[1].

المطلب الثاني: ضرورة تطبيق مبدأ المساواة بين البشر

في هذا الصدد يطرح الشيخ هذه المسألة في صيغة تساؤل فيقول: "فعلينا الآن أن نبحث عن كيفية وجود المساواة في بدء الخليقة، وكيف تلاشت؟ وهل فقدانها وتلاشيها حصل بأمر يمكن ملافاته وإرجاع ما كان إلى ما كان أم لا؟".

ولمناقشة هذا التساؤل يرى الشيخ علي يوسف أن الحضارة هي الطور الحرج من أطوار المدنية، وأن البداوة تعبر عن الفطرة الإنسانية الأصيلة فيقول: "من المسلم أن حال البداوة أقدم من الحضارة والإنسان

[1]- الرياض المصرية: ص282: مصدر سابق: وحول تفصيل العديد من النظريات المتعلقة بالتدهور والسقوط؛ وخاصة في إطار الفكر العربي: ينظر في فلسفة التاريخ: للدكتور/ أحمد محمود صبحي: الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية: بدون.

يرتقى من الأولى إلى الثانية أي بعد حال التقشف والخشونة، يسعى وينتقل إلى الرفاة والعيش الرغد، فإن كان الأمر كذلك علمنا أن حكم الفطرة الأصلية إنما كان في بدء الخليقة، عندما كان الخلق على منهج البداوة أعني مقتصرين على ما هو ضروري وحاجي ضد الحضارة التي تسعى وراء عوائد الترف البالغة التي لا تعرفها البداوة، ولا ينازع أهلها بعضهم بعضاً عليها بل غاية ما تجد أن حال البداوة تكون عبارة عن مساواة بالطبع وليست بقوانين مسنونة"[1].

ثم يؤكد على فقدان مبدأ المساواة في طور الحضارة فيرى "أن الإنسان خلالها – أي الحضارة – يسعى إلى تقدمه على الآخر واختلاقه أموراً يفسد بها عمل الثاني حباً في الحصول على طعام الدنيا وحصرها لديه، إذا كان ذلك من إمكانه، على أن هذا لم يكن عبثاً، لأن الحضارة تستدعي وجود هذا الاختلاف ليحصل الائتلاف ويتم العمران، ولكن العبث طلب المساواة مع وجود المدنية أخذة بهذا العصر مأخذاً عظيماً وهي غاية في الانتشار [2].

المبحث الخامس

المدنية والحضارة، وعلاقة التمدن بالسعادة

[1]– الرياض المصرية: مصدر سابق: ص78–79.

[2]– المصدر السابق: ص81.

المطلب الأول- المدنية والحضارة

من الواضح أن الشيخ علي يوسف يشارك ابن خلدون في حملته على طور الحضارة في مسيرة المجتمع حيث يقول في الفصل الرابع الذي عنوانه "في أن أهل البدو أقرب إلى الخير من أهل الحضر".. وقد يتضح فيما بعد أن الحضارة هي نهاية العمران وخروجه إلى الفساد ونهاية الشر والبعد عن الخير [1]. وهذا يعني أن الحضارة عند ابن خلدون هي الوصول إلى منتهى العمران؛ أي: إلى منتهى التطور الثقافي الشخصي المحلى للجماعة، والدخول في دور الحضارة، وهي دور الرقي الاجتماعي الثابت الذي لا يتطور، وهو لهذا مرحلة الثبات على مستوى من الرقي لا يبقى بعده إلا الانحدار.

ويرجع ابن خلدون السبب في ذلك إلى أن الحضارة هي أحوال عادية زائدة على الضروري من أحوال العمران زيادة تتفاوت بتفاوت الرفه وتفاوت الأمم في القلة والكثرة تفاوتاً غير منحصر... [2]

ثم يختتم الشيخ علي يوسف رأيه حول نقد مرحلة الحضارة في التطور الاجتماعي مقتفياً المنحى الخلدوني في هذا الصدد فيقول: "فيتضح مما تقدم أن المساواة وجدت بحال البداوة المحضة ومنها بعض الأثر في

[1]- المقدمة: ص167: مصدر سابق.

[2]- المقدمة: ص368.

القوة القليلي الاختلاط والتردد للمدن والأمصار ومفقودة بالكلية في الحضارة، هذا ما نراه والله أعلم بالصواب"[1].

ويشارك "شبنجلير" Spengler (1880-1936م) فيلسوف الحضارة الألماني، كلاً من ابن خلدون والشيخ علي يوسف في رأيهما حول مشكلة الطور الحرج من أطوار المجتمع؛ فيرى أن أزمة الحضارة الغربية تكمن في مشكلة المدنية، حيث يعتبر المدنية، الطور الحرج من أطوار الحضارة فيتساءل ما هي المدنية؟ المدنية نتيجة منطقية جوهرية ومفهومة، وهي تحقق مكتمل ونهاية لمطاف الحضارة، ذلك لأن لكل حضارة مدنيتها الخاصة؛ فالمدنية هي المعبر المحتوم للحضارة، والمدنيات تشكل نهاية لا تستطيع أن تقف أمام تحققها إرادة أو عقل، ومع ذلك تبلغها الحضارات مرة بعد أخرى مدفوعة بضرورة باطنية [2].

المطلب الثاني- علاقة التمدن بالسعادة:

يرى الشيخ علي يوسف أن علاقة التمدن بالسعادة هي غاية مبتغاة لكل إنسان وكل مجتمع عبر التاريخ حيث يقول: "إن سعادة الأمم والبلاد وشقائها لا يتم إلا بأسباب فيها تحصل السعادة، ومنها يحصل الشقاء، فالبعض تيسر لهم الأسباب فيوصلون بواسطتها إلى ذرى العلياء وبدون

[1]- الرياض المصرية: ص81: مصدر سابق.

[2]- أوزوالد شبنجلير: تدهور الحضارة الغربية: جـ1: ص87: ترجمة: أحمد الشيباني: بيروت: مكتبة الحياة: 1964. والمدنية في فلسفة شبنجلير حول الحضارة تعني المرحلة التي تسيطر فيها الآلية ونزعة التشيؤ والاستهلاك على الإنسان المعاصر.

آخرون لا يتيسر لهم إلا ما يزيد سقوطهم سقوطاً وشقائهم شقاء، والأمة لا تعد سعيدة إذا كان بعض أفرادها من دنياهم على مشتهياتهم البدنية بوفرة غنائهم أو سعة أملاكهم إنما يشترط في السعادة سعادة الجنس وليس الفرد، فإن سألنا عن أرباب الصلاح والسعادة وعن أسباب الخراب والشقاء أجابتنا الأسفار والتواريخ الحافظة لأعمال الأمم السالفة وشؤونهم، وأثبتت لنا ذلك النقل بمشاهدتنا الآثار الباقية على كامل الدهر" [1].

ثم يعدد لنا ستة أشياء تنظم بها الأحوال وتلتئم الأمور، ولو تفرع عنها أمور كثيرة إنما هي القواعد الأساسية لتلك المتفرعات وهي: (دين متبع) و(سلطان قاهر) و(أمن عام) و(خصب دائم) و(أمل فسيح) و(عدل شامل).

ونلخص عرضه لهذه الأشياء، فعن الدين يرى أن التمسك به يصرف النفوس عن شهواتها ويعطف القلوب عن إرادتها حتى يصير للسرائر قاهراً وللضمائر زاخراً، رقيباً على النفوس في الخلوات نصوحاً لها في الملمات، وبالحقيقة أن هذه الأمور لا يوصل إليها بغير الدين الذي هو الأس العظيم في صلاح الخلايق.

والقاعدة الثانية وهي سلطان قاهر لتتألف من رهبته الأهواء المختلفة وتجتمع لهيبته القلوب المتفرقة.

---

[1]- الرياض المصرية: ص294: مصدر سابق.

والقاعدة الثالثة هي أمن عام تطمئن به النفوس وتنتشر فيه الهمم ويسكن إليه البريء ويأنس به الضعيف.

والقاعدة الرابعة هي خصب دار تتسع النفوس به في الأحوال وتشترك فيه ذو الإكثار والإقلال فيقل في الناس الحسد وينتفي عنهم تباغض العدم وتكثر المواساة.

وأما القاعدة الخامسة فهي أمل فسيح يبعث على اقتناء أشياء يقصر العمر عن استيعابها ويبعث على تهيئة أمور واتخاذ وسائل لحاجات لا يمكن لأربابها إدراكها والتمتع فيها.

والقاعدة السادسة وهو العامل الأعظم في صلاح أمر الأمة، هي عدل شامل تتعمر به البلاد وتنمى الأموال ويدعو إلى الألفة ويبعث على الطاعة، وليس بالحقيقة شيء أسرع في خراب الأرض وتضعضع الأمم وسقوطها ولا أفسد لضمائر الخلق من الظلم فهو عنوان الاضمحلال والقائد إلى مهاوي الذل والسقوط وحسبنا دليل ما ذكره ابن خلدون عن نتائج الظلم وعواقبه بقوله [1]: "أن العدوان على الناس في أموالهم ذاهب بآمالهم في تحصيلها واكتسابها لما يرونه حينئذ من أن غايتها ومصيرها انتهابها من أيديهم وإذا ذهبت أمالهم في اكتسابها وتحصيلها انقبضت أيديهم وانحطت عزائمهم عن السعي في ذلك وعلى قدر الجور ونسبته يكون انقباض الرعايا عن السعي في الاكتساب، والعمران و وفورة ونفاق أسواقه إنما هو بالأعمال

[1]- المقدمة: ابن خلدون: ص1-2: ط: البهية: مصدر سابق.

وسعى الناس في المكاسب ذاهبين وآيبين فإذا قعد الناس عن المعاش وانقبضت أيديهم عن المكاسب وكسدت أسواق العمران وانتفضت الأحوال، فخف ساكن القطر وخلت دياره وخرجت أمصاره واختل باختلاله حال الدولة لما أنها صورة للعمران تفسد بفساد مادتها"[1].

وبالإجمال أن للسعادة أسباباً يراها الإنسان إذا أحسن الفكرة في ماضيه وحاضره ونظر في المستقبل نظرة الحازم اليقظ وإلا فالعوامل الخارجية لا تقوم مقام العامل الطبيعي بل الإنسان على نفسه بصير[2].

ويرى البعض أن الشيخ علي يوسف حين يرد الانحطاط إلى "فساد الأخلاق" واتباع الشهوات فإنه يستأنف جانباً من نظرية ابن خلدون [3].

الخاتمة- وتتضمن أهم النتائج، وبعض التوصيات:

أولا- أهم نتائج البحث:

من خلال الدراسة التحليلية لمفهوم التمدن في هذا البحث يمكن أن نصل إلى عدد من النتائج حول هذه المسألة على النحو الآتي:

1- معالجة مفهوم التمدن والمدنية والحضارة، من القضايا المهمة التي تصدى لها الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، بالبحث والاجتهاد.

---

[1]- انتهى نص ابن خلدون.

[2]- الرياض المصرية: ص296-301.

[3]- أسس التقدم عند مفكري الإسلام في العالم العربي الحديث: د. فهمى جدعان: ص173: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ط2: 1981م.

2- تعد محاولة الشيخ علي يوسف من المحاولات المباشرة التي سعت إلى التصدي لهذه القضية.

3- وضوح التأثير الخلدوني في قضايا التمدن والحضارة والعمران على كثيرة من رموز الفكر العربي الإسلامي الحديث والمعاصر، بدءاً من الطهطاوي، والتونسي، ومحمد عبده، والأفغاني ومصطفى الغلاييني، وشكيب أرسلان، ومحمد فريد وجدي، وصولاً إلى تبلور ذلك الاتجاه في إطار مدرسة واضحة المعالم، تبنت هذه القضايا وبلورتها في صورة ناجزة، وهي مدرسة المفكر وفيلسوف الحضارة الجزائري مالك بن بني (ت: 1973م).

4- استشهادات الشيخ علي يوسف بآراء ابن خلدون تبرز بوضوح هذا التأثير الذي شمل معظم محاوره حول التمدن.

5- حقيقة التمدن من الحقائق الواضحة في حركة التاريخ الإنساني، وهي من الصور المتعاقبة التي تعني أن للمدنيات دورات وحلقات.

6- بالرغم من إقرار الشيخ علي يوسف بنظرية الدورة الحضارية التي أقر بها ابن خلدون، وخاصة فيما يتعلق بتشبيه الحضارة بالكائن الحي، وأنها تمر بالأطوار الإنسانية نفسها، ومع هذا فالشيخ علي يوسف لم يشارك ابن خلدون في القول بحتمية التدهور.

7- يعول الشيخ علي يوسف على دور الفرد في صياغة الحركة التاريخية، والتأثير سلباً وإيجاباً على منحى التقدم، من خلال الإرادة الإنسانية،

التي يمكن أن تعيد منحنى الانكسار الحضاري إلى الصعود والتقدم نحو الأفضل.

8- يؤكد الشيخ علي يوسف على أهمية الصقل العلمي والمعرفي على المستويين النظري والعملي، ويؤكد على أهمية الناحية العلمية والمعرفية في تمدن الإنسان.

9- يؤكد الشيخ علي يوسف على الالتزام بالقيم الأخلاقية، وتربية النفوس على الفضائل التي تمكن الإنسان من حماية مكتسباته الحضارية وتوطد أركانها ومرتكزاتها التي تنطلق من خلالها، وهو بذلك قد وازن بين الجانبين الروحي والمادي في صياغة المعادلة الحضارية.

10- يترك عطاء الإنسان الحضاري آثارا مهمة على الأجيال اللاحقة في إطاري الزمان والمكان مما يعني أن المسؤولية الفردية متصلة وتتسم بالاستمرارية.

11- أبرز الشيخ علي يوسف خطورة الفساد الأخلاقي وشيوع الظلم وبين بأن ذلك يعد علامة تأذن بتحلل المدنية وتصدعها، وهو في ذلك يقتفي أثر السنن التاريخية والكونية، ودورها في قضية السقوط الحضاري.

12- بين الشيخ علي يوسف أهمية إصلاح العلاقة بين الأمة والسلطة وبين الحاكم والمحكومين لما في هذا الإصلاح من استقرار للمجتمع وازدهاره.

13- يعد التسلح بالقوة مطلبا أساسيا لحماية المجتمع ضد التحديات التي تواجهه.

14- الغاية من إرسال الرسل والرسالات نشر العدل وإحقاق الحق ورفع الظلم.

ثانيا- بعض التوصيات:

1- ضرورة مراجعة القوانين والتشريعات التي تحكم المجتمع، وتطوره من وقت لآخر دون إخلال بالثوابت أو إغفال للمتغيرات.

2- ضروري المحافظة على أخلاقيات التعاون والتآزر بين أفراد المجتمع الواحد؛ لتحقيق التوازن الاجتماعي، فالإسلام يرفض كل صور التعصب والحقد الديني.

3- لابد من التوازن بين التطور في حاجات الإنسان المادية، وحياته الروحية؛ لأن الجنوح إلى الجانب المادي فقط ينذر بفساد العمران.

4- ضرورة أن يترك الإنسان حياة الترف، وألا يخضع لهواه وشهواته، وأن يبتعد عن التقليد الذي تشير إليه المقولة الخلدونية: "المغلوب مولع بتقليد الغالب".

5- على المجتمعات الإسلامية أن تحقق قدرا من التمدن حتى يتم التخلص من الآثار النفسية السيئة التي تكاد تسيطر على كافة أفراد هذه المجتمعات.

6- ضرورة الأخذ بالأسباب التي تمكن الإنسان من كسر حاجز التخلف وتحرز التقدم واللحاق بالعصر.

7- ضرورة تأمل السنن والقوانين التاريخية في حركة المجتمعات، ليتمكن الإنسان من فهم تداعيات المشكلات التي تواجهه ومآلاتها.

8- لابد من اعتماد مجموعة من المرتكزات التي تنظم الأحوال التي توجه حركة التمدن نحو التقدم والرقي ومنها: دين متبع، وسلطان مطاع في غير معصية، وأمن عام دائم، وأمل فسيح، وعدل شامل.

مصادر البحث ومراجعه:

1- آثار الحرب في الفقه الإسلامي: د. وهبة الزحيلي: بيروت: دار الفكر: ط2: 1965م.
2- الإسلام روح المدنية: مصطفى الغلاييني: المكتبة الأهلية: بيروت: ط3: 1908م.
3- الإسلام والتجديد في مصر: تشارلز آدمز: ترجمة عباس محمود: القاهرة: مطبعة الاعتماد: 1935م.
4- الإسلام والرد على منتقديه: محمد عبده: القاهرة: 1346هـ-1928م.
5- الإسلام والقوى الدولية: د. حامد ربيع: القاهرة: دار الموقف العربي: ط1: 1981م.
6- الإسلام والنصرانية مع العلم والمدنية: محمد عبده: ط: الهلال: مصر: 1960م.
7- أسس التقدم عند مفكري الإسلامي في العالم العربي الحديث: د. فهمي جدعان: بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر: ط2: 1981م.
8- الأعمال الكاملة للأفغاني: تحقيق ودراسة د. محمد عمارة: القاهرة: المؤسسة المصرية العامة: بدون تاريخ.

9- تدهور الحضارة الغربية: أوزوالد شبنجلير: ترجمة: أحمد الشيباني: بيروت: مكتبة الحياة: 1964م.
10- التفسير الإسلامي للتاريخ: د. عماد الدين خليل: بيروت: دار العلم للملايين: 1978م.
11- حتى يغيروا ما بأنفسهم: جودت سعيد: دمشق: دار الثقافة للجميع: ط3: 1977م.
12- الدعوة إلى الإسلام: توماس أرنولد: ط2: القاهرة: النهضة المصرية: 1957م.
13- سنن القرآن في قيام الحضارات وسقوطها: د. محمد هيشور: القاهرة: منشورات المعهد العالمي للفكر الإسلامي: ط1: 1996م.
14- العلاقات الدولية في الإسلام: محمد أبو زهرة: القاهرة: الدار القومية: 1384هـ.
15- فلسفة التاريخ عند ابن خلدون: د. زينب خضيري: القاهرة: دار الثقافة: 1979م.
16- في فلسفة التاريخ: د. أحمد محمود صبحي: الإسكندرية: مؤسسة الثقافة الجامعية: بدون تاريخ.
17- المقدمة: ابن خلدون ط: المطبعة البهية: مصر: بدون تاريخ.

دوريات: الرياض المصرية: مجموعة مقالات للشيخ علي يوسف: أول محرم: 1306هـ.

فهرس المحتويات

ت	عنوان البحث	اسم الباحث	الصفحة
1	أسلوب الأمر في القرآن (الإهانة والتكريم أنموذجًا)	د. علي عبد السلام بالنور أ. حنان علي بالنور	5
2	أبو تمام البصري وآراؤه الأصولية	د. جمال عمران سحيم	36
3	الجهل بالسنة المظاهر – الآثار – العلاج	د. طارق عطية البقيج	88
4	السواك سنة وعلاج	د. محمد حسين الشريف	124
5	العقوبات والغرامات المالية عند المالكية تأصيل وتطبيق.	د. مختار بشير عبد السلام العالم	163
6	حديث (افتراق الأمة) بين التصحيح والتضعيف	د. عادل فرحات الشلبي	205
7	حماية المجتمع من الجريمة يحقق تكامل المجتمع ووحدته ونموه	د. عبد الحميد إبراهيم سلطان	248
8	من علماء الحديث المعاصرين في ليبيا	د. محمد فرج الزائدي	287
9	ما سمعه ابن عباس ﷺ من النبي ﷺ أو شهده منه:	د. عبد العزيز بوشعيب العسراوي	326
10	مسميات علم العقيدة حتى بداية القرن الخامس الهجري	د. إبراهيم عبد الله سلطان	389
11	الجانب الحديثي والفقهي عند ابن التين الصفاقسي رحمه الله	د. خليفة فرج الجراي	441
12	التوجيه الدلالي لنماذج من رواية نافع المدني	أ. وليد جمعة حامد	476
13	مفهوم التمدن عند الشيخ علي يوسف (1863-1913)	د. يحيى مراد	521
14	سمات أهل الحديث والسنة	د. محمد عبد السلام العالم	561